

# دراسات أفريقية



المركز القومي للدراسات والبحوث  
بجامعة القاهرة

---

مجلة بحوث نصف سنوية

---

محرم ١٤١١ هـ

أغسطس ١٩٩٠ م

العدد السابع

---

# مقاومة الأجيال الأولى في مايرنو

## لنظام التعليم المدرسي

دكتور/ الأمين أبو منقعة\*

مقدمة:

كانت بلدة مايرنو هي المحطة الأخيرة للهجرة التي خرج بها أمير المؤمنين الطاهر الأول من سكتو (١٩٠٣) عند سقوط الخلافة الإسلامية السكتية (١٨٠٤ - ١٩٠٣) في أيدي الأنجليز النصارى في مطلع هذا القرن. فلقد فضل هؤلاء المهاجرون التضحية بموطنهم على «البقاء تحت حكم الكفار والتعامل معهم» إلا أن القدر قادهم مرة أخرى إلى نفس الظروف التي هربوا منها، إذ وجدوا الأنجليز أمامهم في السودان. ولكن على الرغم من ذلك ظل الرعيل الأول من مجتمع مايرنو وولدة طويلة من الزمن متمسكا بموقفه تجاه المستعمر (غير المسلم) ومقاوما لجميع مؤسساته، لا سيما تلك التي تتعلق بالنظام التعليمي.

نهدف في هذا المقال إلى إلقاء الضوء على بعض القضايا المتعلقة بمحاربة الأجيال الأولى في مايرنو لنظام التعليم المدرسي بوصفه احد مؤسسات النصارى الخطرة على عقيدتهم. وسنحاول ربط ذلك بموقفهم التاريخي من الاستعمار الانجليزي ككل. ولكي تكتمل الصورة رأينا أن نتناول بالوصف النشاط الفكري والديني الذي كان سمة مميزة للحياة في مايرنو إبان محاولة إدخال المدارس المستحدثة فيها.

بلدة مايرنو - خلفية تاريخية :

تقع بلدة مايرنو على بعد ١٥ كيلومترا جنوبي سنار على الضفة الغربية للنيل الأزرق، وتغطي مساحة قدرها ٨ كيلومترات مربعة، وبها من السكان حوالي خمسة وعشرون ألف نسمة. وأهم العناصر العرقية المكونة لسكانها هم الفولانيون (٧١,٧٪) والهوسا (١٦,٤٪) والسنگاي (٧,٧٪)، ويحتفظون جميعهم بلغاتهم القبلية أو العشائرية إلى جانب اللغة العربية. يوجد بمايرنو العديد من المؤسسات الحكومية (٥ مدارس ابتدائية مدرستان متوسطتان وشفخانة ومركز صحي ومجلس

ترجمة لأصل المقال المنشور باللغة الإنجليزية في هذا العدد.

شعبي ومحكمة شعبية). وقد بدأ سوقها العتيق يفقد حيويته بعد تزايد اعتمادها على سنار نتيجة إنشاء طريق الأسفلت (سنار - سنجه - الدمازين). ولكن من النتائج الإيجابية لهذا الطريق ان صارت مايرنو معبرا للمسافرين من القرى الواقعة شرق النيل، والذين يعبرون إليها بالمراكب أو «البنطون» ويستغلون الحافلات إلى سنار. إن المهنة الأساسية لسكان مايرنو هي الزراعة. فيزرعون الذرة والدخن للاستهلاك والقطن كمصدر للدخل. ولكن منذ بداية الخمسينات بدأ شبابها ينخرط في مهنة قيادة اللواري والشاحنات. وقد تمكن العديد من السائقين الناجحين من شراء لواري وشاحنات خاصة بهم وطوروا أعمالهم عليها. وتمثل الخياطة مهنة رائجة أيضا وسط شباب اليوم، والكثير منهم يدير محلات فاخرة للتفصيل والخياطة في العاصمة المثلة والمدن الأخرى. ثم جاء «الاغتراب» لدول الخليج ليترك بصماته في الكثير من مناحي الحياة في مايرنو وذلك في شكل مبان جديدة فاخرة وسيارات خاصة. هذه هي مايرنو اليوم بعد تطور تدريجي استمر قرابة القرن من الزمان.

لا يجوز أن نتطرق بالبحث لأي مجال في الدراسات الإنسانية في مايرنو بدون الرجوع إلى الخلفية التاريخية لمكونها السكاني، وذلك لأن الكثير من أوضاعها الاجتماعية والسياسية الحالية منبثقة من الملابس التاريخية التي حدثت في غرب إفريقيا قبل الهجرة ومتأثرة بها. فمعظم الأسر الكبيرة في مايرنو هي بقايا من الأسر ذات الوزن السياسي والعلمي في شتى بقاع غرب إفريقيا: أحفاد الشيخ عثمان بن فودي (سكتو)، أحفاد مودى عبده (مروة - الكمرون)، أحفاد محمد كويرانقا (قومي - نيجيريا)، أحفاد السلطان أحمد ميساو (كتاغوم - نيجيريا)، أحفاد الحاج عمر الفتوى (السنغال - غامبيا)، وأعيان المتحدثين بلغة سنغاي (منحني النيجر - مالي)...

الخ بالإضافة إلى ذلك فإن جميع الأحياء التقليدية والاعراق واللهجات في مايرنو تحمل أسماء بعض الأقاليم والأمكنة في غرب إفريقيا.

ما تقدم يتضح لنا الوضع الخاص الذي تتمتع به مايرنو على الخريطة السودانية. فهي في الواقع ليست مجرد قرية أو مدينة سودانية أخرى، بل هي صورة مصغرة لكل إقليم غرب إفريقيا وجزء من تاريخه الزاخر. ويكفي أن أهم حدث في سلسلة الملابس التي أدت لقيامها هو سقوط الخلافة الإسلامية السكتية في أيدي النصاري الانجليز في عام ١٩٠٣ وهجرة أميرها الطاهر بن أحمد بن أبي بكر العتيق بن الشيخ عثمان بن فودي مع فوج كبير من اتباعه نحو الشرق.

## سقوط سكتو وقيام مايرنو:

يبدو أن النقاش الفكري حول موضوع الهجرة قد احتل مكانا كبيرا في حياة الناس لمدة ثلاثة أعوام قبل سقوط عاصمة الخلافة سكتو. وقد كان النصارى في ذلك الحين يواصلون زحفهم نحو العاصمة من جهات عدة، بينما كانت الأخبار ترد عن تفوقهم في العتاد من أقاصى الغرب (السنغال، غينيا، مالي.. الخ). فلذلك بدأ الفقهاء والسياسيون يتفكرون ويتناظرون حول التصرف السليم من وجهة نظر الشرع في حالة عجز المسلمين عن صد هؤلاء النصارى. فمنهم من لم يرمفأ سوى الهجرة، مثل القاضي عبدالله (قاضي قضاة سكتو). ومنهم من كان ينادى بالتروى والانتظار والتعامل مع الأحداث حسب مستجداتها، مثل محمد مى تورارى (شقيق الطاهر).

بينما الناس في هذا الحال فإذا بالانجليز يداهمون العاصمة. لم تستمر معركة سكتو (١٥ مارس ١٩٠٣) لأكثر من ساعات حتى تيقن المسلمون من عدم مقدرتهم على مواجهة سلاح العدو. وحينها أعلن أمير المؤمنين الطاهر الهجرة وتوجه من ساحة المعركة نحو الشرق بصحبة القاضي عبدالله وآخرين. وكانت نيته إما إعادة بناء قوته والعودة لاسترداد الخلافة - أسوة بهجرة الرسول (ص) وهجرة جده الشيخ عثمان - أو مواصلة الهجرة إلى الأراضى المقدسة لانتظار ظهور المهدي (غير محمد أحمد بن عبدالله) الذى كان يعتقد في قرب ظهوره. أما الوزير (محمد بخارى) وأغلبية القادة فقد فضلوا البقاء والمهادنة مع الانجليز بغية الحفاظ على الإسلام في تلك البقاع والتحين لاسترداد ما سلب من المسلمين.

في الطريق أخذ الناس يتوافدون من كل حدب وصوب وينضمون إلى قطار الطاهر. وهكذا إلى ان وصل إلى برمى Burmi معقل أنصار الإمام محمد أحمد المهدي السودانى على بعد ٤٠ كيلومترا شرقى قوبى Gombe بولاية باوتشى الحالية (نيجيريا). وقد شهد هذا الحصن خلال شهر يونيو ١٩٠٣ تدفق العديد من العلماء والقادة السياسيين من مناطق مختلفة داخل وخارج نيجيريا. وفي ٢٧ يوليو ١٩٠٣ وقعت معركة برمى الشهيرة التى انتهت بهزيمة المسلمين واستشهاد أمير المؤمنين وقاضى القضاة وعدد كبير من شاغلى المناصب الدينية والإدارية.

آلت قيادة المهاجرين إلى محمد بيلو مى ورنو، الابن الخامس للطاهر والذى قرر أن يواصل هجرة والده. وبعد رحلة طويلة مضنية وشاقه (٣ أعوام) حط المهاجرون الرحال بقرية الشيخ طلحة في الضفة الشرقية للنيل الأزرق (١٥ كيلومترا جنوبى سنار). وفي العام التالى تأسست مايرنو على الضفة الغربية.

لقد سقنا هذا السرد الموجز لنوضح الآتى :—

- ١/ أن أفراد الرعيل الأول من مجتمع مايرنو كانوا حملة لقضية دينية - فكرية ضحوا بموطنهم الأصلي من أجلها.
- ٢/ أن أعداءهم في هذه القضية هم (النصارى) المستعمرون.
- ٣/ أن الفقهاء (من امثال القاضى عبدالله) قد لعبوا دورا حاسما في إنجاح الهجرة وذلك بحثهم الناس على الانضمام إليها.

### سياسة حكومة الاستعمار البريطانية تجاه مى ورنو :

تميزت سياسة حكومة الاستعمار البريطانية فى السودان تجاه مى ورنو بالتناقض وذلك لأن طبيعة العلاقة بين الطرفين كانت فى غاية التعقيد. فالمصادر الشفهية فى مايرنو تؤكد أن السلطان مى ورنو كان يكره الانجليز ويسبهم فى حضرتهم ويغلظ فى التعامل معهم مشيرا إليهم بـ «الكفار». ولا غرو فى ذلك إذ تسببوا فى خروجه من دياره وانتهوا بقتل والده. ولكن كل هذا لا ينفى حاجته الملحة إليهم للمحافظة على مصالح جماعته وتوسيع رقعة نفوذه أسوة ببقية نظرائه من رجال الإدارة الاهلية. ومن الناحية الأخرى فالانجليز كانوا على يقين بما يتأجج فى نفس السلطان من نار الكراهية والعداء تجاههم إلا أنه لم يكن لهم بد من أن يتحملوا كل ذلك ويسعوا لكسب وده واستمالة رضاه وذلك لسببين رئيسيين هما:—

أ/ أن نجاح أهم مشاريعهم الاقتصادية فى السودان، وهو مشروع الجزيرة يتوقف أولا وأخيرا على قبول هؤلاء المهاجرين المشاركة فيه كأيد عاملة مدربة على الزراعة (سكان الجزيرة من العرب كانوا رعاة فى المقام الأول).

ب/ أن من الممكن أن تتولد نواة جديدة للمقاومة ضد الاستعمار الانجليزى فى السودان إذا ما تضافرت جهود هؤلاء المهاجرين مع جهود إخوانهم (الفلاتة) الأنصار والذين كانوا حتى ذلك الحين من أنشط العناصر فى حركات المقاومة التى شهدتها البلاد (حركة عطبرة ١٩٤١، غدير ١٩١٥، حلفا ١٩١٦، كسلا ١٩١٩ ونيالا ١٩٢١م).

فلذا اتسمت العلاقة بين الجانبين - كما اسلفنا - بعدم الثقة والحيطه والحذر. فعلى الرغم من أن الانجليز (فى العشرينات) قد قلدوا مى ورنو جبة الشرف من الدرجة الأولى ووسام الملك وعينوه قاضيا من الدرجة الثالثة إلا أنهم رفضوا السماح له بإقامة أية إتصالات مع الفولانى والهوسا فى شرق السودان (مديرية كسلا) وذلك بغية تحديد،

مناطق نفوذه وتحركاته . وقد دعاه هذا الأمر إلى تهديدهم بترك السودان والعودة إلى نيجيريا لممارسة سلطاته الشرعية هناك إذا ما تمادوا في سياستهم هذه .

## النشاط الفكرى والدينى للإجبال الأولى فى مايرنو :

إتصفت الحياة فى مايرنو خلال العقود الأولى (١٩١٠ - ١٩٤٠) لتأسيسها بالبساطة والهدوء ، وكان المجتمع محافظا للحد البعيد ولا ينشغل الناس فيه إلا بأمور ثلاثة : الزراعة وتحصيل العلم والعبادة .

فبالإضافة إلى المسجد الكبير كانت توجد بهمايرنو أثناء الثلاثينات حوالى أربعين مسجدا صغيرا (زاوية) . فمن الثلث الأخير من الليل يأتىك صوت الأذان من جميع الاتجاهات ، ويلي ذلك ترتيل القرآن وترديد قصائد الشيخ عثمان الدينية ومواعظه المختلفة . وبعد صلاة الصبح يخرج الناس لطلب العيش ثم يعودون لصلاة الظهر . ويستغل بقية اليوم فى تحصيل العلم .

وكما كان الحال فى غرب إفريقيا فقد كان فى مايرنو نوعان من دور العلم هما خلاوى القرآن للصبية وخلاوى العلم للكبار . حوالى ٧٥٪ من الصبية من الجنسين يترددون على الخلاوى بانتظام . والقبول بهذه الخلاوى كان بسيطا : مليم يدفع للمعلم كل يوم جمعة ، وهدية متواضعة عندما يحتم التلميذ قراءة القرآن . وفى ذلك اليوم يجتمع الأهل ، القريب منهم والبعيد ، ويذبح ثور وتقام وليمة كبيرة تعرف بـ «الدعاء» يحتفى فيها بالتلميذ ويكرم وذلك تشجيعا للآخرين .

أما خلاوى العلم فتدرس فيها شتى فنون العلوم الإسلامية وضرورها : التوحيد ، والفقه والتفسير والحديث واللغة العربية . وقد استطاع محدثونا بهمايرنو أن يعدوا حوالى خمسة وعشرين حلوة كبيرة من هذا النوع كانت تعمل بأقصى طاقتها خلال الثلاثينات من هذا القرن . وكان يؤمها طلاب العلم من قرى الفلانة المتفرقة على امتداد النيل الأزرق جنوبا إلى الروصيرص . وأهم الكتب التى يتكون منها المقرر لهذه الخلاوى هى الاخضرى والعشاوى والرسالة والعشرينية والمقامات والأجرومية . وجدير بالذكر ان المعلمين انفسهم كانوا يتجمعون فى الصباح الباكر لدى الفقيه عبد الله زيد لتلقى العلم على مستوى أرفع .

## المدرسة الأولى والثانية :

انشئت المدرسة الأولى بواسطة حكومة الاستعمار الانجليزى فى عام ١٩٢٤

وعندما تعذر استقطاب التلاميذ لها بسبب ارتباطها بالكفر والكافرين طلبت الحكومة من السلطان مى ورنو وأعوانه المبادرة بإدخال أبنائهم لكى يقتدى بهم الناس . فأرسل السلطان ابنه الوحيد محمد طاهر وقريبه غربه ومكوشى . وأرسل العمدة جورو وهمه إبنيه أحمد ومصطفى ، كما أرسل العمدة مقاجى ابنه أحمد . ولكن كل هذا لم يقنع الأهالى فاقتصر العدد على هؤلاء .

استمرت الدراسة بهذه المدرسة لمدة ثلاث سنوات ثم تعثرت نتيجة للعداء الحاد من قبل الأهالى تجاهها وانتهى بالاعتداء على ناظرها وحرق مبانيها بواسطة رجل معتوه، يدعى (زنفو- زنفو) ، ربما بإيحاء من اولئك الذين ظلوا يصفون المدرسة بالكفر .

أما المدرسة الثانية فقد جاءت فى عام ١٩٣٧ كثمرة لجهود مجموعة من الأعيان يتمثلون فى التجار الهوسا وبعض المستيرين من الفولانيين . ولكن ما كان لهذه الجهود أن تثمر لولا مساندة السلطان محمد طاهر (أحد تلاميذ المدرسة الأولى) لها، والذي كان حينها يقوم بأعباء تسيير أمور الحكم مكان والده - مى ورنو- الذى تقدم به العمر . فبعد سعى جاد من قبل هؤلاء الأعيان جاء المسؤولون واجتمعوا بالسلطان مى ورنو ومشايخه وبقية الأعيان لأخذ الموافقة الأخيرة . وبومها كانت صدمة كبرى للفقهاء ومن لف لفهم، إذ رأوا فى قبول المدرسة انتصارا للكفر، مما حدا ببعضهم لحزم أمتعتهم ومغادرة مايرنونو بلا رجعة .

وفى الحين تكونت لجنة لتابعة أمر هذه المدرسة وجمع المال لتشييدها . فى البداية أقيمت بالقرب من منزل السلطان (مكان المجلس الشعبى الحالى) فى شكل (كرانك) و (رواكيب) من القش . ثم فرض على كل منزل مبلغ خمس مليات تدفع مع سعر السكر الذى كان يوزع بأشراف الحكومة على طريقة التمويل . وكذلك ذهبت اللجنة إلى الخرطوم لجمع التبرعات، وقابلت كبار رجال الطائفية . وبخطاب من السيد/ على المرغنى وافق المعتمد التعليمى المصرى على دفع أقساط سنوية (٣٠٠ جنيه مصرى) لصالح هذه المدرسة إلى أن تصل مرحلة ما قبل الجامعة . وبالفعل تم دفع القسطين الأول والثانى إلا ان الأمر توقف عند هذا الحد (وذلك لسوء التصرف فى القسط الثانى بواسطة جهة أقوى من اللجنة .) ولكن رغم ذلك استطاعت اللجنة فى عام ١٩٤٤/١٩٤٥ تشييد مباني المدرسة بالمواد الثابتة .

لعل أكبر العقبات التى واجهت هذه المدرسة مشكلة استقطاب التلاميذ لها وضمان استمرارهم بها . فقد كان بعض الأهالى يخفون أبناءهم والبعض الآخر يبعث بهم ليقفوا مع أقاربهم فى القرى النائية وأخيرا تقرر أن تساهم كل أسرة بولد واحد على

الأقل . وكذلك وسعت فرص القبول لتشمل قريتي الشيخ طلحة وودهاشم المجاورتين . ورغم كل ذلك لم يكن عدد التلاميذ في الفصل الأول يتعدى العشرين ، والذي كان يتقلص ببداية السنة الثالثة إلى ما لا يزيد عن الاثنى عشر تلميذا .

في عام ١٩٤٢م كادت الدراسة بهذه المدرسة أن تتوقف وذلك لقلة التلاميذ . ولكن في نفس العام نقل إليها الأستاذ على عثمان إسماعيل المشهور بـ «أفندي على» . ولد الأستاذ على بأمدرمان وتلقى تعليمه بها في المدرسة التبشيرية الأمريكية . ولأنه كان يمت بصلة قرابة لبعض أهالي مايرنو فقد كان له أكثر من سبب للفتان من أجل مدرستها . فبتولييه زمام أمر هذه المدرسة عادت الحياة تدب في عروقها مرة أخرى . ففي خلال فترته الأولى (١٩٤٢ - ١٩٤٧) وبالتعاون مع السلطان محمد طاهر تمكن من القضاء على مشكلة تسبب التلاميذ كما قام بإنشاء فصل رابع وفصل آخر للبنات . . وكان كل هذا بمجهوده الفردي وبصورة غير رسمية مما عرضه إلى المساءلة من قبل المسؤولين بمصلحة المعارف آنذاك . فالعديد من الخريجين من أبناء مايرنو يمثلون ثمرة كفاحه الصادق من أجل إنجاح وتثبيت هذه المدرسة .

في عام ١٩٤٧ استبدل أفندي على بالأستاذ إبراهيم أباري وهو من مواطني أمدرمان أيضا . وفي عام ١٩٦١ عاد أفندي على مرة ثانية وقضى بالمدرسة فترة خمسة أعوام تم خلالها رفعها من المرحلة الصغرى (ثلاث فصول) إلى المرحلة الابتدائية (أربعة فصول) ونقلها إلى موقعها الحالي .

## الطرق التي اتبعت لمقاومة المدرسة :

اتبعت الأجيال الأولى في مايرنو ثلاثة طرق أو استراتيجيات لمقاومة المدرسة : استراتيجية عملية ، وأخرى روحية وثالثة نفسية .

فالاستراتيجية العملية تمثلت في حرق المدرسة الأولى والاعتداء على ناظرها . وفي نفس الاطار دأب بعض الناس على أخذ مواد بناء (القش والحطب) من المدرسة لإصلاح المسجد الكبير ولم يكن احد ليجرؤ على الاعتراض إلا وأتهم بالزندقة . وفي نفس الوقت - وإلى عهد قريب - لم يبد المواطنون أدنى رغبة في المساهمة ماديا أو عينيا من أجلها . ولكن أهم من كل هذا كان إصرار الآباء على إمساك أبنائهم عنها ، مما ظل يهدد بقاءها .

أما من الناحية الروحية ، فقد اجتهد الفقهاء في نشر ألوان من الدعاية العدائية

ضدها، وتغلغل في أذهان الناس بأن المدرسة كفر، وأن « كل من أمسك بيد ابنه وقاده إلى المدرسة فسوف يمسك الابن بيده ويقوده إلى حفرة من النار يوم القيامة ». وتسوق المصادر بما يرون بأن الناس كثيرا ما تجمعوا في المساجد ودعوا الله لها بـ (الهلاك) وقد حدث أن شب فيها الحريق ومرة أخرى وقعت عليها الصاعقة فراحوا يفسرون ذلك باستجابة الله لدعائهم مما يؤكد صدق اعتقادهم عنها.

وكذلك كان التلاميذ - وأحيانا المعلمون - يتعرضون لضغوط نفسية واجتماعية حادة. فأحيانا عندما يخرجون متوجهين إلى المدرسة أو عائدين منها كان بقية الأطفال يتجمعون خلفهم في تظاهرة هاتفين: «أولاد المدرسة أولاد النار». بينما ظل بعض الجيران يمنعون أطفالهم من الاختلاط بهم واللعب معهم وقد سبب لهم ذلك الكثير من المضايقات لم يستطع بعضهم تحملها فاضطر إلى التوقف عن الدراسة.

### أسباب رفض ومقاومة التعليم المدرسي :

إذا تساءلنا عن الأسباب الحقيقية لرفض الرعيل الأول من أهالي مايرنو للمدرسة نجد أن نمو وتطور هذا المفهوم في أذهان هؤلاء الناس لا يمكن أن يفسر بمعزل عن موقفهم التاريخي من النصارى في غرب إفريقيا والذي بموجبه فضلوا التحلى عن موطنهم الأصلي وممتلكاتهم فيه.

لقد رأينا انه في عام ١٩٠٣ رفض أمير المؤمنين الطاهر الأول أي نوع من التفاهم مع النصارى الغزاة، مؤكدا في قصيدته الهوسية المشهورة (مجيء النصارى):

سوف لا أبقى، حتى ولو أهاجر وحدي

أقسم بالله إننى سوف لا أسلم للنصارى

هذا على الرغم من الضمانات التي تقدم بها الغزاة بأنهم سوف لا يتدخلون في شئون العقيدة. فقد كان التصديق بمثل هذا الكلام في حد ذاته يعد كفرا لأنه يناقض ما أخبرنا به المولى عز وجل في أمرهم: (لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) سورة البقرة ١٧٠. أضف إلى ذلك أن القاضي عبدالله (قاضي قضاة سكتو إبان الهجرة) قد وضح في رسالته المشهورة (رسالة ونصيحة إلى المعاصرين...) خطر مهادنة هؤلاء النصارى ومغبة التعامل معهم كما يلي:

«لأن مهادنتهم تزيد الإسلام وأهله قلة وضعفا لما يلزم فيها من مداخلتهم لأهل الإسلام فيتسبب بذلك تطيع المسلمين بطباعهم الرديئة وعوائدهم الذميمة واقتداء سيرتهم المهينة، حتى يألف ضعفاء القلوب عوائدهم المشحونة بالعيوب وينشأ

الصبيان على دينهم ويفتنن النسوة والولدان بالتزيى بزيمهم والتحلى بحليهم إلى ان تمت السنة الغراء وتحيا البدعة الظلماء ويتغلب دينهم ويعم ويذل المسلمون بدخولهم تحت حكم النصارى» .

واذن فقد كان رفض المهاجرين المهادنة مع النصارى الغزاة نابعاً من هذه المخاوف إضافة إلى عدم الثقة في نواياهم . وقد عبر أمير المؤمنين الطاهر عن ذلك في القصيدة المذكورة آنفا بقوله :

إذا اعطاك النصارى هدية فلا تقبلها  
فما يعطونك إلا السم فى الدسم

كان العلماء في مايرنو يعلمون علم اليقين بأن المدرسة تمثل أخصب الأراضى لما يطلق عليه بالتعبير الحديث « غسيل المخ » . وقد كان القاضى عبدالله أكثر قلقا على النشء بصفة خاصة . فلذا اعتبروا أن المدرسة التى قدمها النصارى لأهالى مايرنوما هى إلا تلك « الهدية » أو ذلك « السم المدسوس فى الدسم » . فلذا لم يقتنعوا حتى عندما قدم لهم البرهان أن المدرسة تقوم بتدريس علوم الدين أيضا . فكانوا يقولون : « نعم يحدث هذا الآن هنا أمام أعيننا ، ولكن ما أدرانا ما سيحدث عندما ينتقل أبناؤنا إلى المراحل المتقدمة بعيدا عنا » .

بالإضافة للأسباب المذكورة أعلاه ، كان بعض العلماء يبررون موقفهم العدائى من المدرسة بما حدث من مسخ فى عقيدة النشء فى المدارس التبشيرية فى جنوب نيجيريا وسيراليون وبعض المستعمرات الفرنسية فى غرب إفريقيا قبل سقوط الخلافة السكتية . وقد حدث بالفعل أن نجحت الإرساليات فى تلك البقاع فى حمل بعض الشباب على التحلى عن دينهم واعتناق المسيحية .

ويرى البعض أن رفض المدرسة لا تفسره الأسباب العقائدية وحدها . ففى الوقت الذى جىء فيه بالمدرسة كان هناك نظام تعليمى آخر عميق الجذور يقوم على خلاوى القرآن وخلاوى العلم . فنجاح أى نظام تعليمى منافس لا شك سيكون على حساب النظام القائم وبالتالي يهدد مواقع معلمى الخلاوى ومستقبلهم .

## خاتمة :

على الرغم من أن الأوضاع والمفاهيم فى مايرنو قد تغيرت بصورة عامة إلا أن الروح العدائية للمدارس لا زالت سائدة وسط العديد من الناس وخاصة كبار السن منهم .

ومن ناحية أخرى فإن الموقف السلبي الذي اتخذته أهالي مايرنو تجاه المدارس أدى إلى تخلفها في مجال فرص التعليم، بالمقارنة مع المدن والقرى الكبيرة المجاورة لها (بها الآن سبع مدارس فقط لجميع المراحل). فقبل عامين مثلا تنافس ثلاثمائة بنت في سن التعليم على خمسين فرصة للقبول بالمدرسة الابتدائية. وأخيرا، كما توقع الرعيل الأول من أهالي مايرنو، فقد تأكد أن الخلاوى هي التي تدفع ثمن نجاح النظام المدرسي. فاليوم تحتل الخلاوى في مايرنو موقعا هامشيا للغاية، مقارنة بما كانت عليه في الثلاثينات.

